مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: ثنائية الأنا والآخر في شعر فهد العسكر
اسم الكاتب: د. مبارك علي الميع، بشار سيف الدين
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/3003
تاريخ الاسترداد: 2025/06/07 06:03 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

ثنائية الأنا والآخر في شعر فهد العسكر

د. مبارك علي الميع[1]، بشار سيف الدين[2]

1 دكتوراه في الدراسات الأدبية والنقدية، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب بدولة الكويت.

2 ماجستير لغة عربية، جامعة آل البيت.

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى تتبع ثنائية الأنا والآخر في أدب الشاعر الكويتي المعاصر فهد صالح العسكر، واستخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي، وركزت الدراسة على الجانبين النفسي والاجتماعي في تجربة فهد العسكر الشعرية، وسلطت الضوءعلى أثر التغيرات الاجتماعية والفكرية والدينية عند فهد العسكر في تكوين نظرته لذاته وللآخر، وكيف وثّق الشاعر هذه التحولات في شعره.

كان فهد العسكر منفتح الفكر، متحرراً من قيود المجتمع، بل كان رافضاً لكثير من عاداته وسلوكاته، وهذه النزعة إلى التحرر والتحدي جعلته في مواجهة مع فئة من المجتمع تتمسك بالتقاليد الموروثة وتقدسها وترى الخروج عنها فجوراً، وهذا الأمر هوما جعل الخلاف يتحول إلى صراع وعداء كبير بين الطرفين، إذ يرى كل واحد منهما الآخر غريباً مكروهاً لا يمكن تقبله، وغريماً يهدد وجوده وذاته. وتكمن أهمية تجربة فهد العسكر الشعرية في كونها دليلاً على تنوع الحياة الفكرية في الكويت في تلك الفترة، ومثالاً لما يمكن أن يكون عليه الشاعر المتطلع لواقع أفضل، واقع لا يدعو لإنكار الآخر المختلف أو يحاول إلغاءه بل يعترف به ويحترمه.

الكلمات المفتاحية: ثنائية الأنا، المنهج الاستقرائي، التحولات في الشعر.

تاريخ الايداع: 2022/10/13
تاريخ القبول: 2022/11/6

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

The duality of the ego and the other in the poetry of Fahd Al-Askar

Dr. Mubarak Al-mie[3], Bashar Saif al-dein[4]
3 Phd in Literary and Critical Studies, Public Authority For Applied Education and Training in theState of Kuwait.
4 Ma in Arabic Language, Al al-Bayt university.

Abstract:

This study aimed to trace the duality of the ego and the other in the literature of the contemporary Kuwaiti poet Fahd Saleh Al-Askar, and used the inductive and analytical method. and how the poet documented these transformations in his poetry.Fahd Al-Askar was open-minded, free from the constraints of society. Rather, he rejected many of his habits and behaviors, and this tendency to liberation and challenge made him confront a group of society that adheres to inherited traditions and sanctifies them and sees deviation from them as immorality, which made the dispute turn into a great conflict and hostility between the two parties. Each of them is a stranger, hated and unacceptable, and a threat to his existence and himself. The importance of Fahd Al-Askari's poetic experience lies in being evidence of the diversity of intellectual life in Kuwait at that period, and an example of what a poet looking forward to a better reality can be, a reality that does not call to deny the different other or try to abolish it, but rather recognize and respect it.

Key words: Dual ego, Analytical method, Changes in poetry**.**

Received:13/10/2022
Accepted:6/11/2022

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a
CC BY- NC-SA

المقدمة:

نشطت في الكويت حركة أدبية وفنية جعلت منها على صغر مساحتها الجغرافية نموذجاً مناسبا لرصد حركة الشعر المعاصر في منطقة الخليج العربي، ومن أبرز أعلام هذا النشاط الأدبي الشاعر الكويتي فهد صالح العسكر، لما تمثله تجربته الشعرية من خصوصية، فقد عاش حياة اجتماعية ونفسية وفكرية متقلبة وثّق مراحلها في شعره، ويمكن أن نعد فهد العسكر متفرداً ومختلفاً عن أقرانه من الشعراء خلال النصف الأول من القرن العشرين، فقد امتلك موهبة شعرية مميزة وقدرة إبداعية أقر له بها معاصروه، وشخصية لافتة للأنظار، إذ نشأ في أسرة كويتية محافظة معروفة بالالتزام الديني، وكان فهد العسكر كذلك في بداية شبابه، لكنه تحول تحولاً كبيراً جعله يصطدم مع هذه الأسرة المحافظة، ومع المجتمع الذي كان لا يتقبل الآخر المخالف والخارج على عاداته ونظامه.

لقد امتلك فهد العسكر شخصية قوية جعلته يختار لنفسه خطاً مخالفاً لكل من حوله، وهو عالم بخطورة ذلك وتكلفته، ولكنه أصر واستمر على اختياره رغم لوم المحبين، وتربص الكارهين.

لقد اخترنا دراسة ثنائية الأنا والأخر في شعر فهد العسكر لأن نتاجه الشعري أشبه بتوثيق لمسيرة حياته المريرة، كما أنه أشبه بموازاة رمزية للواقع ولطبيعة الفكر والثقافة السائدة في الكويت في خمسينيات القرن الماضي وما قبلها، أي قبل التطور الكبير الذي طرأ على الكويت بعد اكتشاف النفط وانفتاحها على العالم، فما كان يقوله فهد العسكر وينادي به في شعره من تحرر للفكر وتجاوز لبعض العادات والتقاليد الخاطئة أصبح اليوم أمراً مقبولاً ومعتاداً من الجيل الجديد بعد أن كان كفراً وانحلالاً في نظر خصوم فهد العسكر.

وسنحاول في هذه الدراسة رصد ثنائية الأنا والآخر في شعر فهد العسكر بحسب المنهج الاستقرائي التحليلي مركزين على الجانبين النفسي والاجتماعي، يدفعنا إلى ذلك الظهور البارز للأنا والآخر في شعره، وكأن شعره في الغالب محاورة أو مرافعة يدافع بها عن نفسه ويرد على الآخر الذي يتهمه بالكفر والانحلال. وليس فهد العسكر وحيداً في هذا ، فكم من شاعر قبله" جعل قصائده أشبه بالاعترافات الشخصية العاكسة لحياته المريرة التي اكتوى بنارها، فعبرت عن معاناته وآلامه وأحزانه، وكانت بمنزلة فضاء شعري يعاد فيه إنتاج أنا الشاعر أي سيرته الذاتية من خلال المتكلم، وسلموا مفاتيح قصائدهم لتكون مرايا ترتسم على سطوحها ملامح شخصياتهم المتميزة، سواء برزت أنا المتكلم سافرة أو استخفت في القصيدة الغنائية، فإن النص الشعري يظل وسيلة لإنتاج خطاب ذاتي أو ترجمة ذاتية للشاعر"(رضوان جنيدي،2013م،ص15).

أسئلة البحث:

1-ما أبرز صور الأنا الحاضرة في شعر فهد العسكر؟

2- ما أبرز صور الآخر الحاضر في شعر فهد العسكر؟

3- كيف تأتلف أو تختلف الأنا الفردية والجمعية مع الآخر في أشعار فهد العسكر؟

الإطار النظري:

مفهوم الأنا:

إن وعي الإنسان بوجوده وإدراكه لما هو حوله ينتقل به إلى معرفة الأنا والتمييز بينها وبين الآخر، فيقصد بالأنا الذات التي تكوّن الهوية المميزة لكل شخص وتجعله يتشابه مع غيره أو يختلف عنه، ويرى بعض الدارسين أن الأنا تتكون من شقين، هما: الشكل الظاهري والمضمون الجوهري، وهي في الوقت نفسه ترتبط بالآخر ارتباطاً قوياً، إذ يحدد كل طرف منهما الطرف الثاني.

وقد عُنيت العلوم الإنسانية منذ القدم بفهم وتعريف الأنا، فمن المنظور الفلسفي: الأنا "هي الذات المدركة العاقلة الواعية لتصرفات الإنسان، بوصفه جسداً أو فرداً ما في مجتمع، له دوافعه ورغباته وطلباته، ويتفاعل مع المحيط من حوله، والبشر عن يمينه وشماله وفق متطلبات إنسانية الوجود الذي هو وهم فيه" (عبد الله تريسي،2011م،170). أي أن الإنسان مع بداية تكون الوعي لديه، وتشكل الفهم والإدراك للموجودات من حوله يبدأ عنده تشكل الأنا، فيبدأ يميز بين ما هو له وما هو لغيره. وعندما يبدأ الإنسان بالتعبير عن فهمه هذا من خلال اللغة باستخدام الضمائر المختلفة التي تشير إليه أو لآخر "يصبح لكل نص أناه الأدبية التي تحدد من خلال تفاعل مجموعة الضمائر، وتُشكِّلُ بذلك مفهوماً كلياً للأنا الأدبية داخل النص، فلا يوصف بأنه الضمير

الأدبي الذي يبرز محققاً الوعي الذاتي، ويتوضع في العمل الأدبي بضمير المتكلم والمخاطب والغائب، وإنما يوصف بكونه مجموعة الضمائر التي تنشد الوحدة" (رضوان جنيدي،2013م،13). فالأنا الأدبية هي" ذات الأديب ومشاعره تارة، وتارة أخرى تتجلى عبر صورة الأرض والوطن والثقافة التي تشكل هوية الأديب، إذن المقصود بالأنا هو الجانب الواعي لذات الشخصية الإنسانية، ومشاعرها وأفكارها تجاه كل ما هو خارج عنها ويحيط بها سواء أكان مادياً أم معنوياً، أي هو يمثل حلقة الوصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي". (رسول بلاوي وآخرون،2020م، ص42)

وتظهر الأنا بصور مختلفة في الأعمال الأدبية ويقسمها بعض الدارسين إلى" الأنوات الفردية الشخصية، أي أنا الشاعر والمحاور التي تدور حول نفسه ومشاعره، والأنوات الاجتماعية أي أن الشاعر لا يتحدث عن عواطفه وأغراضه النفسية ، بل يقصد من خلال الأنا مجموعة من أمثاله في الزمان والمكان المعين، إما من أبناء شعبه أو غيرهم، والأنوات الإنسانية والبشرية التي تتجاوز حدود الزمان والمكان المعين والمحدد، وهو الذي يعرض مصير الإنسان ومشاكله وما يدور حول البشر بوجه عام".(عباس نجاد، 2019م، ص8).

ونجد الأنا الشخصية والاجتماعية ظاهرة بوضوح في شعر فهد العسكر، إذ لا تخلو قصيدة من قصائده من إشارة إليها، وكأنه كان يسعى دائماً للتعريف بها، وهذا قد يؤول تأويلات عدة من الجانب النفسي، فهو عاش مرحلة من الشك جعلته يرتدّ عن ذاته التي كان عليها، وهي التي عرفه الناس بها، لتظهر أنا جديدة مختلفة خلقت له صداماً مع البيئة المحيطة، وهذا التحول جعله يعيد تعريف نفسه وتقديمها للآخرين في أشعاره. وهذا ما سندلل عليه في صفحات هذا البحث.

مفهوم الآخر:

تتعدد تعريفات الدارسين المتعلقة بالآخر لاختلاف محدداته، فبصورة عامة كل مغاير للأنا هو آخر، و"لأن كل ذات تتحول من أنا إلى آخر بحسب زاوية النظر التي تُلاحَظ منها"(نور الهدى، 2006م،ص12). "فالآخر بالنسبة للذات الدينية هو ذلك الإنسان الذي ينتمي إلى دين آخر، أما بالنسبة للذات القومية أو العرقية فهو الذي ينتمي إلى قومية أو عرقية أخرى"(بلال الخروط،2008م،ص13). وهناك من يرى أن الآخر "هو المضاد للذات والوجه المقابل أو النقيض لها، وتأسيساً على ذلك فإنهم يوسّعون دائرة المفهوم بحيث يشمل كل من يغاير الذات على الإطلاق، وإذا طبقنا ذلك على الشعر فإن الممدوح والمهجو والمرثي والمرأة وغيرهم يندرجون في هذا الإطار"(فوزي عيسى،2010م،ص1). وهذا المفهوم للآخر هو ما سلنتزم به في الإطار التطبيقي من هذا البحث، إذ سنقوم بتتبع الآخر في شعر فهد العسكر بأشكاله وصوره كافة، وسنحاول تحليل هذا الظهور للآخر وأسبابه ودلالاته.

أما من منظور نفسي "فمفهومه في علم النفس يشير إلى مجموعة من السمات والسلوكات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي تنسبها ذات فرد أو جماعة إلى الآخرين لتبين أنهم غيرها أو أنهم لا ينتمون إليها عُرفاً أو طبعاً(عبد الله تريسي،2011م،ص173). ومع ذلك يرتبط وجود الآخر بوجود الأنا والعكس صحيح، كالحياة والموت، فنجد أن "الآخر عند فوكو متعلق بالذات تعلقاً لا فكاك منه ، شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، فالآخر بالنسبة لفوكو هو الهاوية أو الفضاء المحدود الذي يتشكل فيه الخطاب" (ميجان الرويلي،ص22). وتتعدد أنماط الآخر كما تتعدد أنماط الأنا "فقد يكون الآخر جماعة والذات فرداً، أو قد تكون الذات جماعة والآخر فرداً، أو قد يكون الآخر جماعة والذات جماعة أيضاً توحدها فكرة معينة أو مبدأ معين"(عهود جبر، 2019م،ص60).

"وفي تاريخ الفكر كما في العلوم الإنسانية اختلفت موضوعات الآخر، وما تزال له مكانة بارزة نظراً لارتباطها الجدلي بموضوعات أساسية ملازمة: الأنا– الذات– الهوية ...فيصير الآخر بالمفرد والجمع الذي نعيش معه تجارب كالقرابة والصداقة والجوار، أو كالمنافسة والخصومة والعداء ... وهذه التجارب وسواها تحدد بتنوعها واختلافها طبيعة العلاقات ودرجتها، إما على صعيد الوعي أو في حقل السلوك والفعل"(سالم حميش، 2003م،ص5).

أما في شعر فهد العسكر فسنجد أن الآخر يظهر بصور مختلفة، لكنها ترتبط برابط واحد يجمعها، وهو المجتمع الذي عاش فيه فهد العسكر، فكل من هم حوله كانوا بالنسبة له الآخر الذي يحاوره ويخاطبه في شعره، وإن اختلفت طريقة تفاعله معه، فأسرته

وأصدقاؤه وحبيبته وكل من أحبهم وأحبوه كانوا الآخر بالنسبة له، وكذلك أولئك الذين هاجموه وازدروه وحاربوه كانوا الآخر الذي لا يحبهم ولا يحبونه.

جدلية الأنا والآخر:

إن العلاقة بين الأنا والآخر هي علاقة الإنسان بمحيطه، وهذه العلاقة قائمة على التفاعل بكل أشكاله وصوره، فكل إنسان يؤثر ويتأثر بهذا المحيط، وتأخذ علاقة التفاعل هذه صوراً مختلفة، منها الهادئة والمحبة والمضطربة والثائرة والمستسلمة، فتتشكل جدلية تدور حول العلاقة بين أنا الإنسان ورغبته في إثبات ذاته، والآخر المحيط به على اختلاف تسمياته وأوصافه، قد تصل إلى حد الصراع والمواجهة، و"تؤدي هذه العلاقات الناتجة عن الاحتكاك بين الأفراد داخل مجتمع واحد أو بين مجتمعات وثقافات إلى التوصيل والانسجام أو إلى عدم التكافؤ والاحتلال والعنف وإلى غير ذلك."(نور الهدى رواق، 2006م،ص13). وهذه العلاقة تأخذ صورا مختلفة ومتقابلة، ففي حين نتوقع "أن تكون العلاقة بين الأنا والآخر قائمة على أساس التفاهم والوفاق والاحترام المتبادل، ولكن قد تقوم هذه العلاقة على التعصب والأحادية وإلغاء الآخر."(توفيق محيسني وآخرون، 1441هـ،ص76).

والعلاقة بين الأنا والآخر مهمة جداً، لأن كلاً منهما يساعد في تكوين الآخر وتحديد هويته، فكما يقال: بضدها تتبين الأشياء، و"من أبرز تجليات الأنا في مظهريتها الذاتية هو تجليها من خلال النظر إلى الآخر بوصفه مقابلاً حيوياً منتجاً، وإن النظرة إلى الآخر حضارياً وثقافياً تعتمد بالدرجة الأولى على طبيعة الأنا الناظرة وكيفيتها وحساسية مكوناتها، لذا فإن الآخر يتجلى في مرآة الأنا استناداً إلى طبيعة العلاقة التي يؤلفها جدل التفاعل أو الحوار أو الصدام بينهما، وربما لا وجود لأنا فاعلة وقادرة على الحضور المنتج من دون آخر مناظر وموازٍ لها يحرضها على الظهور والفعل والتعبير عن الذات، وهذه الأنا تمتلك قوة ذاتية مركزية تتحدد ذاتيتها وقوتها ومركزيتها دائماً بدلالة الآخر"(فليح السامرائي، 2015م، ص517).

وفي الأدب حياة موازية لصورة الحياة الواقعية، فنجد في الشعر جدلية الأنا والآخر تظهر كثيراً وتتردد في الشعر، وإن "شكل حضور الأنا في الشعر العربي ظاهرة استرعت اهتمام النقاد والدارسين، فهي ظاهرة لا تختص بعصر دون آخر. وبغض النظر عن توظيف الأنا في الشعر في هذا الزمن أو ذاك في هذه التجربة دون تلك يظل لهذا التوظيف دلالات تكاد تكون متشابهة إن لم تكن واحدة، فهي الالتفات إلى الذات المبدعة، أو أنها بأية صورة من الصور، وهو ما استدعى دراسة سلوك الفرد ومعرفة الطاقة التي تكمن وراء تفاعلاته مشكلاً بذلك الأنا"(نور الهدى رواق، 2006م، ص8).

ومن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بدراسة الأنا والآخر في الشعر والفكر العربي المعاصر "لأن العصر الذي نعيشه هو عصر مملوء بالصراعات الطائفية، والتدخلات الأجنبية ، والتطاحن الثقافي. فلم يعد أي بلد بمنأى عن الحاجة إلى معرفة الآخرين ومقارنتهم بذاته، إذن دراسة التمثيلات الأدبية للآخر ومواجهتها بتمثيلات الذات تعد منحى جديداً ومثمراً في الدراسات النقدية، وهي تعد في الوقت نفسه مساهمة قيمة في حوار الثقافات"(رسول بلاوي وآخرون، 2020م، ص40). ومن جانب آخر "تكمن أهمية دراسة الأنا والآخر في إطار الاختلاف بالنسبة للأدب والنقد من كونها تقودنا إلى فهم طبيعة علاقة الإنسان بنفسه وببيئته ومحيطه ومجتمعه، بل بعقله أيضاً، إذا ما جعل من المعاني آخرين له، فما فتئ الإنسان ينشئ الصراع تلو الصراع مع نفسه وبني جنسه"(عبد الله تريسي،2011م، ص174).

الدراسات السابقة:

تناول كثير من الدراسات العربية الحديثة صورة الأنا وصورة الآخر في الأدب العربي نثراً وشعراً، ومن هذه الدراسات التي تتقارب مع موضوع دراستنا.

– دراسة فليح السامرائي وشفاء عبد الله (2015) بعنوان تجليات الأنا الشعرية بدلالة الآخر–قراءة في شعر فدوى طوقان، وتناولت هذه الدراسة الأنا عند فدوى طوقان من منظور الآخر، ودلالية الزمان، والفضاء الشعري والإعلامي، وعنف الإشكالية بين الأنا والآخر. وخلصت إلى أن الجدلية بين الأنا والآخر عند فدوى طوقان لم تخرج عن السياق التقليدي للمواجهة العربية الإسرائيلية، ومحاولة فدوى طوقان إبراز الأنا العربية الأنثوية الملتزمة بالقضية.

– دراسة رسول بلاوي وصادق بوغبيش (2020)، بعنوان جدلية الأنا والآخر في شعر سالم أبي جمهور القبيسي– دراسة صورولوجية –، بحيث تناولت صور الأنا وصور الآخر في شعر سالم أبي جمهور وأنماطها المختلفة، وخلصت إلى تنوع الأنا من فردية وجماعية وإنسانية، في حالة مواجهة مع الآخر متعدد الصور أيضاً، ففيها الأجنبي الطامع بوطنه وغير الأجنبي الذي لا يشاركه همومه وأفكاره.

– دراسة سلاف بو حلايس (2009) بعنوان صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، وقد تناولت فيها تجليات صورة الأنا عند الغماري التي عكست انتماء الشاعر الديني والوطني والإنساني، وتجليات صورة الآخر القريب أو البعيد، والثنائية التي تربطها بالأنا، مثل الزمان والمكان، والحياة والموت، والحضور والغياب.

– دراسة سمية محنش وآخرون (2017)، بعنوان جماليات المراوغة والتوظيف للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية، وركزت فيها على الأسلوب اللغوي الذي استخدمته الشاعرة في لغة حوار الأنا مع الآخر، وطبيعة العلاقة الجدلية التي تربط بينهما.

– دراسة أحمد سليماني (2009) بعنوان التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، التي تناولت التأصيل التاريخي والفلسفي لعلاقة الأنا والآخر، والتجليات الشكلية في الأدب لعلاقة الأنا بالآخر، وعرض نماذج شعرية من عصور مختلفة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي، من خلال لغة الخطاب والصورة الشعرية.

بناء على النتائج التي حصدتها الدراسات السابقة ننطلق في بحثنا لرصد هذه الثنائية بين الأنا والأخر وطبيعة العلاقة الجدلية في شعر فهد العسكر، لما يمثله من خصوصية أدبية وفكرية. فمع كثرة الدراسات العربية لعلاقة الأنا والآخر في الشعر العربي، إلا أننا لم نجد دراسة تناولت الشاعر فهد العسكر أو أياً من شعراء الكويت المعاصرين.

التعريف بالشاعر فهد العسكر:

يذكر الكاتب الكويتي عبد الله زكريا الأنصاري صديق الشاعر فهد العسكر، وموثق سيرته، وجامع أشعاره أن تاريخ ولادته لم يكن معروفاً بدقة، ولكنه على وجه التقريب يتوقع أنه ولد عام 1916م، استناداً إلى ماخلص إليه من أخبار وأقوال تحدثت عن تاريخ ولادته، فقد نشأ في أحد أحياء مدينة الكويت في عائلة معروفة بالالتزام الديني، فوالده كان إماماً لأحد المساجد ومعلماً للقرآن الكريم، وقد نشأ فهد العسكر وكبر في رعاية والده الذي كان يصحبه معه إلى المسجد، فتعلم فهد من والده الالتزام الديني، والاهتمام بالعلم والقراءة والمطالعة، وهذا التأثر الكبير بشخصية والده سيكون له أثر كبير في حياة فهد وتكوين شخصيته وتنمية مواهبه، وقد ألقى قصيدة في المدرسة بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف كانت البداية لظهوره شاعراً، وفي مرحلة الشباب كتب قصيدة في مدح الملك السعودي عبد العزيز آل سعود، وانتشرت هذه القصيدة بين الناس ، وصاروا يرددونها ويغنونها، فسمعها الملك السعودي وأعجب بها فدعاه إلى الرياض ليكرمه، وبقي فهد في السعودية شهراً واحداً تقريباً ثم عاد إلى الكويت، وانصرف بعدها إلى قراءة الكتب والمطالعة والانعزال عن الناس، وهنا بدأت مرحلة جديدة في حياته الفكرية والدينية والاجتماعية، فقد تأثر تأثراً كبيراً بما كان يقرؤه، فصار يميل إلى الأفكار القومية والاشتراكية، وهذا الأمر هو ما جعله يتخلى عن الأفكار القديمة التي تربى عليها، وبدأ يعيد النظر في كثير من العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة التي يتمسك بها الناس دون وعي بصحتها أو خطئها، وهذا التغير ظهر في سلوكه وتصرفاته، فأثار الناس عليه وجعلهم يتعرضون له باللوم أو النصح أو التوبيخ. ولكن فهداً كان قد وصل إلى مرحلة لم يعد فيها يهتم برأي الناس وكلامهم عنه، وهو الذي يرى بعينه نفاقهم وخداعهم، فهم يظهرون الالتزام والطاعة زيفاً وكذباً، وهم في الحقيقة عبيد للمال والشهوة، ولهذا اختار أن لا يكون مخادعاً مثلهم، وأراد أن يكون صريحاً وصادقاً ، يظهر ما في قلبه من مشاعر، ويصرح بما تميل إليه نفسه من رغبات. لقد ظل فهد العسكر في مواجهة مريرة مع هذا المجتمع المنافق حتى انزوى في آخر حياته في غرفة صغيرة معتزلاً الناس، إلا فئة قليلة من أصدقائه المخلصين، فهو لم يتزوج وانقطعت صلته بأهله، إلا والدته التي كانت تشفق عليه، وأصيب بالعمى في أواخر حياته، فكان يعيش الغربة النفسية والاجتماعية، وظل على هذه الحال حتى توفي في غرفته التي انعزل فيها عام 1951م، ولم يصلِّ عليه أحد من أهله أو معارفه، وأشعاره حرق معظمها، إلا ما استطاع أن يصل إليه صديقه عبد الله الأنصاري في كتابه الذي دون فيه سيرة الشاعر وجمع فيه أشعاره.

ومما قاله الأنصاري عن فهد العسكر: "لقد مثل الشاعر فهد في شعره حياته وحياة مجتمعه، حياته البائسة المتغيرة المضطربة، وحياة مجتمعه الآمن المحافظ على تقاليده وعاداته الموروثة، وشتان بين الركود، وثورة على التقاليد الموروثة والعادات المتبعة، ولمّا لم يلق تجاوباً مع ثورته، وصدى صيحاته التي تدعو إلى فك الحصار وتحطيم القيود، راح يشكو ويتألم، ويبث شعره شكواه وألمه، ويفرغ فيه كل أحاسيسه، ويلونه بكل الألوان التي جرت بها ريشته الشعرية، وعكست ما كان يعانيه في قراره نفسه من شتى الألوان."(عبد الله الأنصاري، 1997، ص15).

هذه التقدمة عن حياة فهد العسكر سنعيد قراءتها في صفحات هذا البحث من خلال شعره، لنتعرف على تفاصيل أكثر دقة يرويها بلسانه، وتكشف عن حقيقة هويته وذاته، كما يعرف هو عن نفسه، لا كما يقول الآخرون عنه. ونرى كيف كان ينظر هو للآخرين وكيف كانت علاقته بهم.

أولا– أبرز صور الأنا الحاضرة في شعر فهد العسكر:

تتركز الأنا في أشعار فهد العسكر، وتظهر طاغية في معظم قصائده، وذلك انعكاس طبيعي للحياة التي عاشها بتقلباتها واضطراباتها الاجتماعية والفكرية والعقدية، وهو يمكّن لهذه الأنا التي تنازع من أجل إثبات الذات وسط مجتمع يرفض منحها الحرية التي تبتغيها، وتبدو أهمية دراستها وتحليلها في الكشف عن تفاعلات المجتمع الكويتي في الفترة التي عاشها الشاعر فهد العسكر، وهي الفترة التي ساد فيها الصدام الذي يشهده أي مجتمع في أثناء تحوله من مرحلة إلى أخرى. فما زال الذين يرفضون التغيير يظهرون ردّة الفعل ذاتها عبر التاريخ البشري على اختلاف الزمان والمكان. ومن أبرز صور الأنا التي يقدمها فهد العسكر صورة الأنا الشاعرة، فهو يفتخر بكونه شاعراً، وإن جهل الناس قدره وأساؤوا فهمه. و"الذات الشاعرة لا بد أن تكون حاضرة في أي نص شعري، سواء كان الحضور بصفة الفاعل على صعيد المعاناة أو التجربة أو على الأقل بصفة سارد وراصد لتجربة الآخر، وبين الحالتين تجد الذات الشاعرة بالطبع على غير السوية الانفعالية، فانفعالات الذات لتجربتها الشخصية ستختلف بتأججها وانفعالاتها عن رصد تجارب الآخر والتعبير عنها، مهما بلغت درجة التعاطف من الذات الشاعرة، كما أن انفعالات الذات الشاعرة تتباين باختلاف الأحداث ذاتها"(نضال ملكاوي، 2013م،ص70). يقول الشاعر فهد العسكر:

أنَا إنْ مِتُّ أفيكم يا شَبابُ شَاعِرٌ مِثْلي يَرْثِي شَبابَ العَسكَرِ
بَائِساً مِثلِي عَضّتْهُ الذِئابُ فَغَدا مِن هَمّهِ في سَقَر

تظهر الأنا في البيت الأول متحسرة، ويدل على ذلك ذكر الموت، فهو لا يقصد حتميته فلا شك في ذلك، ولكنه أراد قربه وحلوله بسرعة، وهو الذي لم تكتمل رسالته في هذه الحياة، يدل على ذلك الشطر الثاني من البيت الأول في إشارته إلى الأنا الشاعرة، وهو هنا يفتخر بهذه الصفة، ويتساءل إن كان سيأتي في المستقبل شاعر يشبهه في طريقة التفكير والنظرة إلى الحياة، ليعود في البيت الثاني إلى الأنا المعذبة التي رافقها البؤس، بسبب الآخر الذي ما فتئ يضطهدها ويحاربها، فجاءت نشوة الأنا الشاعرة ممزوجة بمشاعر الحزن والأسى من العذاب الذي لقيه الشاعر من الآخر (الذئاب) وهو يمزج فخره بحزنه، ويضع لنفسه علامة مميزة بأنه شاعر ويستحق الرثاء، ويشير الشاعر في البيت إشارة مبطنة إلى أن معاصريه لا يعرفون قدره، وهو يعزي نفسه بأن الجيل القادم من الشباب سيعرف قيمة هذا الشاعر فيرثيه لما مر به من أسى وعذاب.

ومن تجليات الأنا الشاعرة ومظاهرها البارزة أن نراه يفتخر بكونه شاعراً، ويفتخر بكونه مبدعاً متفوقاً على غيره من الشعراء، إذ يقول (الأنصاري، 1997، ص140):

صهرتُ في قدحِ الصّهباءِ أحزانِي وصُغتُ من ذوَبها شِعري وألحانِي
وبتُّ في غَلس الظلماءِ أرسلُهاورُحت مِن غور روحي ومن أعماقِ وجدانِي
أستعرِضُ الماضِي فأطربَني بها ومن ثم أشْجانِي وأبكانِي
حتّى سَكبتُ على ذكرَاه أغنيَة مِن وحْيِ بؤسِي ومِن إلهام حِرمانِي

وفي سعي الأنا لإثبات نفسها أمام الآخر تحتاج إلى قوة إرادة وثبات، وهذا ما كان عليه فهد العسكر في مسلكه وتصرفاته، فلم يستسلم ولم يخضع لأولئك الذين يخاصمون، بل استمر في المواجهة التي كلفته كثيراً، فتبرز في أشعاره الأنا الثابتة رغم العذل واللوم والتشهير. كقوله (الأنصاري، 1997، ص187):

أَنِني هَهُنا على شَاطِئ الرَّملِ	أشاكِي النَّوى مَساءَ صباحا
إنَّني هَهنا مُقيمٌ على العَهدِ	أنَاجِي الأوهَام والأشْباحَا
مَا أعَرنا عَذلَ العَواذِل أُذْنا	إذْ سَمعنا عُواءَهم والنُّباحَا

وعلى الرغم مما تحلى به فهد العسكر من ثبات وتحدٍ إلا أنه ما كان ليستطيع مواجهة مجتمع بأكمله، لذلك كان دائماً يشعر في داخله بالوحدة والعزلة، فلا أحد قادر على أن يستوعب ما هو فيه من تحرر أو انحلال، لذلك عاش حياته وحيداً رغم كثرة أصدقائه وأقربائه، وظل غريباً في أعين الناس رغم شهرته ومعرفتهم به، فنجد الأنا المتغربة حاضرة بقوة في شعره. إذ يقول(الأنصاري، 1997، ص232):

يا ليتني فوقَ الغُصونِ حَمامَةٌ	لأنوحَ بالآصالِ والأسحارِ
علّي أرَى فِي الروضِ مَن يَفـ	ضي إليّ بسرّهِ وأبثُّهُ أسراري
يَا ليتَني بَينَ الوُرودِ فَراشَةٌ	تَروي الصدى من أكؤسِ الأزهارِ
يا ليتني طَيرٌ لأسْبَح في الفَضا	وأؤوب مغتبطاً مع الأطيارِ
أو بلبلٌ لأشنّفَ الأسماعَ بالنـ	ـغم الرقيق على ذرا الأشجارِ

فأقصى ما يتمناه الشاعر في هذه الأبيات هو أن يكون كغيره من الكائنات يعيش مع أقرانه حياة طبيعية، بعيداً عن العداوات والأحقاد والاختلافات، وهذه الأمنيات تظهر إحساساً بالغربة والوحشة إلى حد كبير جداً، جعلته يفضل حياة الطيور والفراشات والبلابل على حياة البشر، البشر الذين لم يستطع أن يتواصل معهم تواصلاً طبيعياً، ولا أن يبني علاقات هادئة مستقرة. ويقول في إحدى قصائده (الأنصاري، 1997، ص287):

أنا الغريبٌ على الدُّنيا فعالمُها	أعدى عدوي يَهجونِي وأهجوهُ
فما سَمعت على الأعيادِ تهنئةً	إلا مُداهنةً يلقي بها فوهُ
يا قومُ مالي من ذنبٍ أدانُ بهِ	ما بالُ نوري إن أظهرتُ تخفوهُ
لكنَّها مِحنة أنتم طواعية	فيها لدهري إنْ يأمر تجيبوهُ

ويقول في قصيدة أخرى (الأنصاري، 1997، ص269):

أنا روحٌ تنوحُ طوراً على الأر	ضِ وطوراً على متونِ السحابِ
أنا في هذي الحياةِ غريبٌ	بائسٌ تائهٌ وراءَ الضّبابِ
أنا في الحبِّ يا رفاقِي شَقيٌ	وسعيدٌ وا فرحتي واكتئابي
يا رِفاقي لا تَحفروا لي إذا ما	متُّ شوقاً قبراً بقفر يبابِ
احفروا لي قبراً على شاطئ البحر	لعلّ الأمواج تبكي شبابي
وادفنوني بين الصخورِ عسى يهـ	دأ روعي وثورتي واضطرابي

لقد كان فهد العسكر يحمل نزعة من الانتماء إلى الأمة العربية شغلت مساحة كبيرة من تكوين شخصيته ووعيه بذاته، فشكلت القومية رافداً من روافد الأنا الجمعية التي كثيراً ما تظهر في شعره، فنجده يحمل همومها ويأسى لضعفها وتردي أوضاعها، فيقول في أبيات تظهر فيها الأنا الجمعية، وتتجلى فيها النزعة القومية والانتماء للأمة العربية والافتخار بأمجادها العظيمة، وفيها يركز على واقعها المرير وضعفها في مواجهة مخاطر وتحديات العصر، في مرحلة عصيبة من تاريخ البشرية مع حروب عالمية، يقول مخاطبا أبناء الأمة(الأنصاري، 1997م، ص116):

يَا بَنِي الفَاتِحينَ حَتَّامَ نَبْقَى فِي رُكودٍ أَينَ النُّفوسُ الأبِيَهْ؟
غَيرُنَا حَقَّقَ الأمَانِي وبِتْنَا لَم نُحقِّق لَنا ولا أُمْنِيَّهْ
فَمِن الغُبْنِ أنْ نَعِيشَ عَبِيداً أينَ ذَاكَ الإبَاءُ ؟ أينَ الحَمِيّهْ ؟

"وينظر علم الاجتماع للأنا نظرة موسعة ويربط مفهومه بالهوية الفردية، ويضيف إليه تصور الشخص لذاته وخصائصه المعرفية، ومكوناته الفكرية والاجتماعية، وما يدور في فلكه من قيم وتقاليد موروثة أو مكتسبة... ويشترط لوجوده وجود حالة (النحن)، إذا لا نستطيع تصور الأنا قوة توجد في سلوكنا بمعزل عن (النحن) التي تحويها وتنفي فرديتها وتختزلها ضمن نطاقها"(رضوان جنيدي، 2013م، ص13). ففي القصيدة نفسها تتحول الشكوى إلى استذكار للماضي العظيم بإنجازاته الخالدة والأجداد الذين سطروا الأعمال الخالدة، إلى أن يصل الى الغاية التي ينشدها وهي حث شباب الأمة وجيلها القادم نحو العمل والبناء والاقتداء بسير الأجداد، فيقول(الأنصاري، 1997م ص120):

أبناء يعرب والكوارث جمّة هيا انبذوا الأحقاد والأضغانا
وتآلفوا وتكاتفوا وتساندوا متراصفين وحرروا الأوطانا
إنا نعيش بعصر لا يعيش به سوى من كان يملك صارما وسنانا
يا نشء يا أمل البلاد وسؤلها أقسم على أن لا تطيق هوانا

ففي هذه الأبيات يمكن أن نتلمس الأنا ظاهرة بقوة، ولكن سنلاحظ في أشعار فهد العسكر أن هم الجماعة، وحال الأمة، وإصلاح المجتمع كان سمة عامة في شعره، وهو عندما ينطلق منشداً قصيدة ما فهو إنما يعبر تعبيراً صادقاً عن مشاعره وأفكاره وهمومه، لذلك نعتقد أن الأنا عند فهد العسكر هي أنا مميزة ومختلفة عن بقية الشعراء، ففي شعره لا تجد قصيدة تخلو من إشارة عن المواجهة بينه وبين هذا المجتمع الذي يعيش فيه.

ويكثر في شعر فهد العسكر التغزل بالحبيبة، فهو يقدم نفسه عاشقاً مولعاً كمجنون ليلى الذي ما أبه لكلام الناس ولومهم له، وكأن الأنا العاشقة تتحدث وتكشف نفسها، على الرغم من أنه لم يتزوج ولكن عرف عنه تغزله بأكثر من محبوبة، كابنة الجار وليلى ومي. وهذا يشير إلى أن غزله وعشقه المزعوم لم يكن عذرياً، أو على الأقل لم يكن واقعياً، بل كان متخيلاً، فنفسه تميل إلى هذا النوع من العلاقة، وهي علاقة الحب التي لا وجود لها، فيتخيل هذه المحبوبة ويتغزل بها،كقوله(الأنصاري، 1997، ص174):

حب تغلغل في الصميم فقضى على الحب القديمِ
والحب إحساس يجيش بخافق الحر الكريمِ
هذي القصائد وهي وحي عرائس الحب المقيمِ
سلوى الحزين وراحة الـ عاني وتعزية اليتيمِ

وقوله في قصيدة أخرى(الأنصاري، 1997، ص191):

أنا قيس في هواها وهي في حبي ليلى
عاشقان امتزجا والتقيا سرا لكيلا

وقوله أيضاً[1](الأنصاري، 1997، ص132):

فلكم تراءى لي الخيال حقيقة فيخالني الرائي صريع عقارِ
فأفيق مذهولاً وأهتف من أنا ؟ فأُجَابُ: مجنون بعقر دارِ
يا حُبُّ بين يديك نفسي تشتكي أفما كشفت غوامض الأسرارِ؟
يا حُبُّ أحلام الغرام جميلة رحماك فهي قصيرة الأعمارِ

إن قراءة سيرة حياة فهد العسكر تذكرنا بالشاعر الكبير أبي العلاء المعري، لما بينهما من تشابه لافت للنظر، فكلاهما شاعر، وكلاهما ثائر على عادات المجتمع وتقاليده البالية، وكلاهما عاش في عزلة عن الناس، وكلاهما أصابه العمى، وكلاهما مات وحيداً، وأهم ما يجمعهما في نظرنا هو أنهما دفعا ثمن ما حصّلاه من المعرفة والثقافة نقمة وظلماً من الناس، وقد أصاب الشاعر فهد العسكر نوع من الحيرة والتشكك في كل ما كان قد نشأ عليه وتربى، فتظهر في شعره الأنا الحائرة المترددة، والباحثة عن الحقيقة. إذ يقول (الأنصاري، 1997، ص137):

وطني وكيف يعيش مثلي بلبلٌ ما بين ثعبان يفح وضفدعِ
في أسرةٍ نقمت عليَّ لرأفتي بفقيرها وصراحتي وترفُّعي

إن ما أحس به فهد العسكر من حيرة وتشكك مازالت تمر به الذات العربية، لأنها أمام خيارات صعبة ، لكل منها فوائده وأضراره "فهي حائرة لا تدري كيف تتصرف، فإما المحافظة على ذاتها وخصوصيتها، فينجم عن ذلك حرمانها من كثير من منافع الآخر، أو الانفتاح على الآخر، وفي هذه الحالة قد تتعرض هذه الهوية إلى الذوبان أو الاندماج في الآخر"(صادق دهاش، 2008م،ص5)..كما في قوله (الأنصاري، 1997م، ص127):

كفي الملام وعلليني فالشك أودى باليقين
وتناهبت كبدي الشجون فمن مجيري من شجوني؟
وأنا السجين بعقر داري فاسمعي شكوى السجين

ويكثر في شعره الشكوى والتذمر فهو "الذي حرم من لذة العيش، فنعم بلذة الشعر، وفقد صفو الحياة، ولم يفقد صفو الحس والضمير، لقد خسر النعيم، لكنه نعم في الشقاء مع الشعر والشكوى والمعاناة. حسد الناس الذين عبوا من كؤوس الحياة حتى الثمالة، وحسده الناس على كؤوس الشعر المترعة بحلو الكلام، وجميل اللفظ ونفاسة المعنى في شعر راقص، ونغم مردَّد، وبيوت متبخترة، وفشل في التعامل مع الحياة، لكنه نجح في التعامل مع الشعر، ولو خُيِّر بين نجاحه وفشله، لاختار نجاحه الذي يشبه الفشل، ولما اختار فشله الذي يشبه النجاح. ومضى إلى الموت لا يلوي على شيء، فهل وجدت إنسانا يلوي على شيء من أشياء الحياة وهو يمضي إلى الموت؟ إن الشعر المبدع الجميل لا يمل مدى الحياة، ولا يفقد روحه ما دامت الشمس تنير والقمر يضيء والنفس يتردد".[2]يقول في قصيدة أخرى (الأنصاري، 1997، ص236):

يومي كأمسي وأمسي أسود وغدي يا دهر خفّف كفى ما ذقت لا تزِد
ويا رفاق اعذروني إن نفضت يدي لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي
فكم شكوت ولكن لم أجد أحداً يصغي فأبكي وهل تروي الدموع صدي
وعشت بين أناس لا وعودهم تشفي غليلاً ولا تغني عهودهم
عُمْيٌ وأطماعهم أمست تقودهم جود الرجال من الأيدي وجودهم

[1]الأنصاري، عبد الله زكريا، فهد العسكر حياته وشعره، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط5، الكويت، 1997م، ص132
[2]الأنصاري، عبد الله زكريا، فهد العسكر حياته وشعره، ص11

إن فهد العسكر كان جريئاً في تحدي المجتمع ، وكسر قوانينه وضوابطه ، فهو لا يتورع عن التصريح برغباته ونزواته، وخاصة تلك المتعلقة بالخمر والنساء، وهذا الذي أثار نقمة الناس عليه، ويمكن أن نفسر ذلك من الناحية النفسية بأن "السلوك الإنساني لا يتفاعل فقط مع مثيرات محددة لكنه يكون محدداً في الغالب من طرف الرغبات الغريزية الخاصة به، ولأن هذه الرغبات قد تكون متناقضة مع الصور والانتظارات التي تكون للآخرين عن شخص ما أو التي تكون للشخص عن ذاته، فلا يحق لها أن تمر إلى الوعي أو يكون من اللازم أن تُكبت"(راينر فونك،2016م،ص26).ولكن فهد العسكر في مواجهته مع المجتمع لم يكتف بالعزلة كما فعل المعري بل انطلق يتحدى المجتمع ويعلن ذلك صراحة في أشعاره، وينطلق بجرأة لمخالفة العادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع، وقد تأخذه جرأته على مخالفة دينية كشرب الخمر والمجاهرة بها ومدحها. فيقول(الأنصاري، 1997، ص146):

هات يا ساق هات بنت النخيل فعساها تشفي عساها غليلي
جاء تحريمها وليس علينا بل على كل سافل وجهولِ
وشكوكي عاثت فساداً ويقيني ويلاه غير كفيلي
أنا ديني الهوى ودمعي نبيّي حين أصبو ووحيه إنجيلي
رُبَّ صمت يا صاح أوقع بل أبلغ في سحره من التنزيلِ
ودموع العشاق فيض من الخلد وشعرٌ يزري بشعر الفحولِ
وخفوق القلوب ضرب من التسـ بيح عند اللقاء والتهليلِ

ويميز علماء النفس بين نوعين من الطبع فردي ومجتمعي: وللطبع المجتمعي وظيفة تثبيت اجتماعية مهمة، إذ إن مهمته هي تشكيل طاقات أعضاء هذا المجتمع بطريقة لا يكون فيها سلوكهم نابعاً من قرارهم الواعي، وما إذا كانوا يريدون التشبث بالنموذج المجتمعي الذي يعيشون فيه أو لا ويرضيهم في الوقت نفسه لكي يسلكوا طبقاً للمتطلبات الثقافية"(راينر فونك، 2016م، ص29) ونجد في حالة فهد العسكر أن الطبع الفردي كان قوياً بدرجة جعلته لا يخضع بدرجة كبيرة أو على الأقل لفترة معينة لسلطة الطبع المجتمعي، بل وصل الأمر إلى مواجهة مباشرة وصدام مع هذا الطبع المجتمعي اللائم على التقليد والاتباع الأعمى الخالي من التفكير أو التحليل. فكان يرفض كثيراً من الأحيان عادات مجتمعه، وقد جعله هذا الأمر يتجه نحو تحدي هذه العادات ومخالفتها، وكسر أنظمتها وقوانينها، وكان هذا السلوك في نظر الآخر انحلالاً أو كفراً أحياناً.

أبرز صور الآخر في شعر فهد العسكر:

تستمر الثنائية بين الأنا والآخر في شعر فهد العسكر، وتتعدد صور الآخر كما تتعدد صور الأنا، بحيث "تستمد الأنا قيمتها من إحساسها بوجود الآخر، وإن كان الرابط بينهما سلبياً، فالآخر يعمق من فهمها لذاتها، ويكفل لها معرفة عالمها الداخلي عن طريق وجهة نظره فيها، فمعرفة الأنا لا تمرّ إلا بمعرفة هذا الآخر، والكشف عن حدود معرفته هو عنها"(سلاف بو حلايس، 2009م،ص66) فنجد في شعر فهد العسكر الآخر المعادي له والمخالف لأفكاره، والآخر الموالي له والمحب من أهله وأصحابه، وهناك الآخر المرأة التي يتكرر حضورها في شعر فهد العسكر، وبصورها مختلفة كالأم والحبيبة والجارة والصاحبة. وهذا ليس مستغرباً فقد "شغلت المرأة حيزاً كبيراً في شعر الشعراء في كل العصور، واحتلت مكاناً بارزاً في كل ديوان مطبوع أو مخطوط، ليس من الغريب أن يحظى هذا المخلوق الجميل بالاهتمام على مر العصور والأجيال ويبقى محور النقاش ومحط اهتمام الناس ولا سيما الشعراء منهم والأدباء، فهي فضلاً عن كينونتها البشرية ذات أهمية كبرى ، وتقع على عاتقها تشكيل المجتمعات الإنسانية بأسرها. فهي الأم، وهي الأخت، وهي الزوجة، وهي الحبيبة، وهي الابنة."(جاسم عباس وآخرون،2016م،ص5) وعن ذلك يقول(الأنصاري، 1997، ص159):

بما أودعته فيها إلى ليلاي أُهديها
إلى تلك التي في أضلـ ـعي قلبي يناجيها

وترشف من روحي العطشى رواها من مآقيها
فهذا الشعر ألهمنيه حاضرها وماضيها

ويقول في قصيدة أخرى(الأنصاري، 1997، ص182):

ليلى وكم عاذلٍ بالأمس أنّبنا واليوم عاد وعزّانا وواسانا
ليلى تعالي ورُدّي بعض ما أخذت منّا ليالي النوى عطفاً وإحساناً
ليلى تعالي أديريها مشعشعة لعلّ بالراح يا ليلاي سلوانا

وإلى جانب المرأة الحبيبة هناك المرأة القريبة التي كانت دائماً تشفق عليه ، ولم تقطع صلتها به، وهي أمه التي ظلت تزوره في غرفته التي اعتزل فيها عن الناس، وتطمئن على احتياجاته، بل كانت تتألم لألمه، وتعاني لمعاناته، يقول لها (الأنصاري، 1997م، ص125):

أماه قد غلب الأسى كفي الملام وعلليني
الله يا أماه فيَّ ترفقي لا تعذليني
أين التي خلقت لتهـ واني وباتت تجتويني

ومن صور الآخر التي وجدناها في شعر فهد العسكر صورة النديم أو الصاحب، وقد كان عدد أصدقائه قليلاً جداً، فقد تركه أكثر أصدقائه بعد التحول الكبير في تفكيره وطريقة حياته، ومن أصحابه أولئك الذي يشاركونه شرب الخمر وينادمونه ويؤنسون وحدته، ويذكرهم في سياق ذكره للخمر وعلى طريقة الشعراء القدامى، يقول(الأنصاري، 1997م، ص125):

يا ندامى قد تحدّى الهم في قلبي المداما
هاك كأسي هاك يا ساقي وعذراً يا ندامى
وذروني أجرع الصابّ وأستوحي الظلاما

ويقول في أحد أصدقائه مادحا (الأنصاري، 1997م، ص210):

فتى الهاتفاتِ الواثباتِ شواديا ويا من بأفق الفنِ لاحتْ دراريهِ
فديتكُ طال الصمت والركبُ حائرٌ وخارتْ قوى حاديه مذ تاه هاديهِ
أخي كم دعانِي الشعرُ والفكرُ شارد فلم أستطع والآن لبّيت داعيهِ

فالشاعر مع غربته وانعزاله مازالت تربطه بالناس علائق وأواصر، ويظهر في شعره تقديره وامتنانه لهذه الصفوة من الذين ظلوا حوله، ولم يتحولوا عنه بسبب نظرة الناس الجاهلة واتهاماتهم الباطلة، وفي مقابل هذه الصور الجميلة أو الإيجابية للآخر في شعر فهد العسكر وحياته، هناك صور أخرى للآخر لكنها سوداء قاتمة، والآخر يأتي بصورة الفرد مرة أو الجماعة مرة أخرى، وفي الحالتين كان هذا الآخر يفسد على الشاعر حياته، وفي الوقت نفسه كان يشاركه في توجيه مساره، فيسعنا أن نلاحظ أن سلوك فهد العسكر كان غالباً ردة فعل على ما شهده من سلوك تلك الفئة من المجتمع، تلك الفئة التي تظهر التدين، وتدعي التزامه، ولكنها في الحقيقة منافقة مخادعة، فهي تظهر عكس ما تبطن، وكان الشاعر في مواجهة وصراع على طول الخط معهم، وفي شعره ظهرت تفاصيل هذه المواجهة، منذ بداية الاختلاف والتباين بين الأنا والآخر، ثم انتقلت هذه الاختلافات إلى لوم وانتقاد، حتى وصلت إلى تكفير وتضليل، فتحولت العلاقة بين الأنا والآخر إلى عداء شديد. فنجد الآخر الجاهل والمنافق واللائم والمعادي، وهذا الصراع مع الآخر كان مادة تثير موهبته الشعرية وتستفزه لقول الشعر،كما يقول صديقه عبد الله الأنصاري :"للحوادث التي مرت بالشاعر ومرارة الأيام التي قاساها تأثير كبير في صقل شاعريته ودفعه دفعاً إلى التنفيس عما تجيش به خواطره، وما تفيض به مشاعره، لهذا لم يجد أمامه ما ينفس به عن نفسه إلا الشعر، الشعر وحده، فراح يبثه همومه، ويعبر به عن مشاعره ويضمنه حنقه على هؤلاء الناس، وأولئك الذين حملوا عليه حملات قاسية، ورموه بما هو بريء منه."(الأنصاري، 1997، ص64) فيقول معبراً عن حنقه على الآخر المعادي له، يقول في إحدى قصائده (الأنصاري، 1997م، 137):

وطني ولي حقٌ عليك أضعته وحفظتَ حق الداعر المتسكعِ
فلو أن لي طبلاً ومزماراً لما أقصيتني أو أن لي في المخدعِ
هذي عقوبة موطني وجنايتي هي أنني لتيوسه لم أركعِ
ألقرد أضحى لاعباً في ملعبي وغدا ابن آوى راتعاً في مرتعي

ويقول في قصيدة أخرى(الأنصاري، 1997، ص135):

واللهِ لو يشفي انتقا مي غلتي لأخذتُ ثاري
من معشرٍ نشؤوا بأحضان السفالة والسّنارِ
لصقوا المثالبَ بي وكل مثالبي عدمُ اتّجاري
ماذا أقول بهم وهمْ حُمُر لربّات الخِمارِ
أسفاً على عمر تقضّى بين أطفالٍ كِبارِ
بين المنافقِ والمخادعِ والمَداجِي والمُدارِي

إن الآخر الذي شن فهد العسكر هجومه عليه هو تلك الفئة التي تدعي الالتزام الديني، وكان دائماً يصفهم بالنفاق والكذب وحب المال، ومن الطبيعي أن يثير الجانب الديني جدلاً بين الأنا والآخر فالدين يعد "أهم استقصاءات التأصيل المؤسس لمعرفة نشوء أول ظهور للآخر تمت في التاريخ الإنساني على الإطلاق في مقابل الأنا"(أحمد السليماني، 2009م،ص88). أي أن الدين من أول وأقوى المحددات لتقسيمات الأنا والآخر. فيقول فهد العسكر في هذا الآخر(الأنصاري، 1997، ص133):

أشدُو وكَم أسكرتُ أر واحاً بموسيقى ابتكاري
يا لائمي هذا شِعاري في الهوى هذا شِعاري
ثكلتكَ أمُكَ أي إثم في التمازج؟! أي عارِ؟!
فكأنني الكرةُ الكبيـ رة بين صبيان صغارِ
أو أنني قلبُ المجازِف حول مائدة القمارِ

إن النظرة الدينية الإسلامية صبغت سلوكيات أفراد المجتمع وجعلتهم ينقسمون إلى فئات حسب تفسيراتهم للنص الديني، فانقسموا مذاهب وطوائف مختلفة، فبعد أن كانت الأنا الإسلامية واحدة تجمع أفرادها أصبحوا فئات ينظر كل منهم لغيره على أنه الآخر المناقض للأنا، فضلاً عن أن "قيام الأمر الإلهي التكليفي على الحرية التوحيدية المسؤولة يعني بالضرورة تعدد أنماط العلاقة بين كل أنا إنساني وأواخره بالنظر إلى تعدد الرؤى الكونية الكلية من جهة، والتعدد في درجة تمثل كل أصحاب رؤية كونية كلية لها، فضلاً عن إمكانية اختلاف طرفي العلاقة سواء في الرؤية أو في كثافة تمثل هذه الرؤية."(السيد عمر،2008م،ص77).أي أن المظاهر الدينية هي من أهم المحددات التي رسخت الفجوة بين الأنا والآخر عند فهد العسكر، ونجده لا يوفر فرصة للتعبير عن هذه الفجوة وموقفه من هؤلاء المتلونين الذين يلبسون الدين قناعاً يخفون وراءه نفوساً أمارة بالسوء، ففي قصيدة أخرى ألقاها بمناسبة وصول أول دفعة تعليمية إلى الكويت، يقول:(الأنصاري، 1997، ص124):

يا نشءُ وا أسفا على دِين غدا أحبولة للأصفرِ الرنانِ
يا نشءُ عرقلت العمائمِ سيرنا والدين أضحى سلماً للجاني
فجرائمُ العلماءِ وهي كثيرة تنمو بظل الصفحِ والغفرانِ
كيفَ النهوضُ بأمة بلهاءَ لا تنفكُّ عاكفةً على الأوثانِ

إن مواجهة فهد العسكر مع الآخر تمتزج بالشكوى المريرة، فهو عندما يشكو لا يشكو من تردي حالته الصحية والمادية، بقدر ما يشكو ذلك التردي الفكري والثقافي والديني الذي رآه في هؤلاء الناس، وبسبب هذا التردي تحتدم المواجهة بينه وبينهم، حتى تصل إلى صراع حقيقي فهو لا يراهم إلا منافقين مخادعين، وهم يرونه زنديقاً وكافراً ومنحلاً، يقول(الأنصاري، 1997، ص128):

وَطني، ومَا سَاءت بغير بَنيكَ يا وَطني ظنوني
أنا لم أجِد فِيهم خَديناً آه من لي بالخَدينِ
رَقصوا على نَوحي وإعـ والي وأطربَهم أنيني
وتحَاملوا ظُلما وعد واناً عليَّ وأرهقوني
فعرفتُهم ونبذتُهم لكنّـ ـهم لمْ يَعرفوني
يا قومُ كُفوا دينكم لكم ولي يا قومُ ديني

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة وجدنا أن ثنائية الأنا والآخر التي صبغت قصائد الشاعر الكويتي فهد العسكر ارتسمت بصور مختلفة ومتعددة، منها الفردية ومنها الجمعية، وأنها كانت دائماً تعبر عن وجدانه وفكره، ونظرته لنفسه ولمن حوله، ويمكن أن نعد هذه النظرة التي وجدناها في شعر فهد العسكر نموذجاً لحالة اللا جمود في الفكر والثقافة العربية المعاصرة، فدائماً كانت هناك محاولات لكسر الجمود والسباحة عكس التيار، وإن مبعث هذه المحاولات هو سعي العقل البشري الدائم نحو الفهم الصحيح والكامل لما هو موجود، مع أن هذه المحاولات لا تصل دائماً إلى المكان المطلوب بحيث تسبب لأصحابها الوقوع في الخطأ، فيكون كمن عالج الخطأ بخطأ مثله، وهذه الأحداث يمكن أن تكون حال فهد العسكر الذي حاول جاهداً أن يعي ويفهم، وعندما فهم حقيقة بعض الناس من حوله ومن أبناء مجتمعه ، واطلع على قبائح تصرفاتهم، تكونت لديه ردّة فعل سلبية دفعته نحو كسر قواعد هذا المجتمع وتقاليده والكفر بها، وهذا موقف لا يقل تشدداً عن موقف أولئك الذين كانوا يجادلون فهد العسكر ويكفرونه.

ومن الجانب النفسي يمكننا أن نشير إلى العلاقة الكبيرة بين الشاعر ووالده التي كان لها أثر كبير في توجيه سلوكه، فهو الذي زرع فيه الالتزام الديني منذ طفولته، وشجعه على القراءة والاطلاع والبحث عن المعرفة، ولم يكن هذا خطأ الأب، ولكنه لم يبين لفهد ذلك الشاب الصغير اليافع أن الناس قد لا يكونون بالحسن الذي نراهم عليه، وقد لا يكونون بالسوء الذي نراهم عليه أيضاً، وأن النفس تحركها الرغبات والشهوات وتهذبها الفضيلة والعقلانية، ونجد في التحليل النفسي لفرويد كلاماً يبين تأثر الابن بأبيه، وأثر ذلك على تكوين شخصيته المستقبلية، يقول: "فالأنا الأعلى ينشأ عن تقمص شخصية الأب باعتباره مثالاً، وكل تقمص من هذا النوع إنما هو بمنزلة تجرد من الغريزة الجنسية، أو بمنزلة إعلاء للغريزة أيضاً. ويظهر أنه حينما يحدث تحول من هذا النوع، يحدث أيضاً في الوقت نفسه انفصال في الغرائز، وبعد الإعلاء لا يصبح للجزء الجنسي من الغريزة القدرة على ضم كل الجزء الهدام الذي كان منضماً إليه من قبل، فينطلق هذا الجزء في صورة ميل نحو العدوان والهدم"(فرويد،1982م،ص88). أي أن مخالفة فهد لمجتمعه وخروجه عن تقاليده وضوابطه إنما كان ردة فعل نحو الانعتاق من سلطة الأب وسلطة المجتمع الذي يحيط به.

ومهما تكن من أسباب دفعت فهد العسكر نحو هذه المواجهة بينه وبين مجتمعه فإن مكانته الأدبية والشعرية لم تنتقص، بل كانت هذه المواجهة بين أنا الشاعر والآخر من أفراد مجتمعه محركاً لقريحته الشعرية ومحفزاً لإبداعه وقدراته الفنية. وستبقى تجربة فهد العسكر الشعرية مادة ثرية للدراسة والبحث أدبياً وفكرياً.

المراجع:

1. الأنصاري، عبد الله زكريا، فهد العسكر حياته وشعره، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، ط5، الكويت، 1997م.
2. بلاوي، رسول، والبوغبيش، صادق، جدلية الأنا والآخر في شعر سالم أبي جُمهور القبيسي، دراسة صورولوجية، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، العدد55، كانون الأول 2020.
3. بوحلايس، سلاف، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، 2009
4. تريسي، عبد الله محمد طاهر، ثنائية الأنا والآخر، الصعاليك والمجتمع الجاهلي، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2011، العدد 120.
5. جبر، عهود حسين، وشنان، بلسم باسم، صورة الآخر عند الشعراء السود في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 52، 2019م.
6. جنيدي، رضوان، جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم، في القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة دكتوراه 2013م، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر
7. حميش، سالم، في معرفة الآخر، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط2، 2003م.
8. دهاش، الصادق، إشكالية ثنائية الأنا والآخر في الضمير العربي المعاصر، مجلة مشكاة الحضارة، مخبر مشكلات الحضارة والتاريخ بالجزائر، جامعة الجزائر، المجلد7، العدد2، 2008م.
9. رواق، نور الهدى، الأنا والآخر في ديوان أبي نواس، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة ، الجزائر، 2006م
10. الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي.
11. السامرائي، فليح مضحي أحمد، تجليات الأنا الشعرية بدلالة الآخر –قراءة في شعر فدوى طوقان، مجلة جامعة المدينة العالمية، العدد الرابع عشر، أكتوبر2015.
12. السليماني، أحمد ياسين، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان للطباعة والنشر، ط1، دمشق، 2009م.
13. عباس، جاسم محمد، صايل، عارف عبد، جدلية الأنا والآخر في شعر ا العباس بن الأحنف، قراءة في نسقية التضاد، مجلة البحث العلمي، جامعة عين شمس،العدد17، 2016م، ج3.
14. عمر، السيد، الأنا والآخر من منظور قرآني، دار الفكر، 2008م، دمشق، ط1
15. عيسى، فوزي، صورة الآخر في الشعر العربي، دار المعرفة الجامعية 2010م ، الإسكندرية، ط1.
16. فرويد، سيغموند، الأنا والهو، ترجمة محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط4، 1982م
17. فونك، راينر، الأنا والنحن، التحليل النفسي لإنسان ما بعد الحداثة، ترجمة حميد لشهب، جداول للنشر والترجمة، بيروت، 2016، ط1
18. محيسني، توفيق رضا بور، وبلاوي، رسول، ولفتة، عواد كاظم، صورة الآخر الأجنبي والعربي في شعر فاضل العزاوي، آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، 1441هـ، العدد 2.
19. ملكاوي، نضال يوسف محمد، الذات والآخر في شعر طرفة بن العبد، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، 2013م، الأردن.
20. نجاد، عباس علي، جدلية الأنا والآخر في أشعار عز الدين المناصرة المقاومة، مجلة الأدب العربي، جامعة طهران، العدد 1، 2019م.
21. الهروط، بلال سالم ، 2008، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، أطروحة دكتوراه، الأردن، جامعة مؤتة.